انه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد فلهذا بدا الله بشكر
نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ثم اردفه بشكر
نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا فان قيل الوالدين انما طلبا
تحصيل اللذة لا نفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الافات
والمخافات فاي انعام للابوين على الولد وحكي ان بعض المنتسبين بالحكمة كان
يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت
والفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلا المعري ماذا نكتب على قبرك فقال
اكتبوا على قبري هذا جناية ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزويج
والولد ، وتركت فيهم نعمة العدم التي ، فيهم لقد سبقت نعيم العاجل ،
، ولو انهم ولدوا لعانوا شدة ، ترمي بهم في موبقات الاجل ،
وقيل لاسكندر استاذك اعظم منة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم
منة لانه تحمل انواع الشدايد عند تعليمي فاوقعني في نور العلم واما
الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى افات عالم
الكون والفساد ومن الكلمات الماثورة المشهورة خير الاباء من علمك
اجيب بانه وان كان له في اول الامر طلب لذة الوقاع الا ان الاهتمام
بايصال الخيرات اليه ودفع الافات عنه من اول دخوله في الوجود الى
وقت بلوغه الكبر اليس انه اعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات
والمبرات فسقطت هذه الشبهات التنبيه الثاني ان لفظ الاية
يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين
منها انه تعالى قال في الاية المتقدمة ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو
مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم اردفه بهذه الاية المشتملة
على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الاخرة وجعل من
جملتها البر بالوالدين وذلك يدل على ان هذه الطاعة من اصول الطاعات
التي تفيد سعادة الاخرة ومنها انه تعالى بدا بذكر الامر بالتوحيد وثنى
بطاعة الله وثلث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة
في تعظيم هذه الطاعات ومنه انه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل
قال وبالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها
انه تعالى قال احسانا بلفظ التنكير والتنكير يدل على التعظيم اي احسانا
عظيما كاملا لان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب ان
يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل المكافاة
لان انعامهما عليك على سبيل الابتدا وفي الامثال المشهورة ان البادي
بالبر لا يكافا ولما كان سبحانه وتعالى عليما بما في الطباع من ملال الولد لهما
لهما عند اخذهما في السن قال تعالى **اما** موكد بادخال ما على ادخال

الشرطية

ان الشرطية لزيادة التقرير للمعنى اهتماما بشان الوالدين **يبلغن عندك** اي
كان يضطرا اليك في حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما كافل غيرك فيصيرا عندك في
اخر العمر كما كنت عندهما في اوله **الكبر احدهما او كلاهما** وقرا حمزة والكسائي بالف
بعد الغين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما واحدهما بدل منه
او كلاهما عطف عليه فاعلا او بدلا فان قيل هل لا كان كلاهما توكيدا لا بدلا
اجيب بانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيد الاثنين فوجب ان يكون
مثله فان قيل لم لا يجوز ان يكون احدهما بدلا وكلاهما توكيدا اخلاف الاصل
وقرا الباقون بفتح النون والاعراب على هذا ظاهر وجميع القرا بتشديد النون
ثم انه تعالى امر الانسان في حق والديه بخمسة اشياء الاول منها قوله تعالى
فلا تقل لهما اف اي لا تتضجر منهما قال الزجاج معناه النتن وهذا
قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما اف اي لا تتقذرهما كما انهما
كانا لا يتقذرانك حين كنت تخرى وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد
اذا وجدت منهما رايحة توذيك فلا تقل لهما اف فلقد بالغ سبحانه
وتعالى بالوصية بهما حيث شفع الاحسان بتوحيده ونظمهما في سلك القضا
بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرض في ادنى كلمة تنفلت من
من التضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل
صبر الانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم
اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد
ريحها عاق ولا قاطع ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلا ان الكبريا لله رب
العلمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال لا يقوم لخدمتهما
عن كسل وقرا نافع وحفص بالتنوين في الفا مع الكسر وابن كثير وابن عامر
بفتح الفا من غير تنوين الثاني قوله تعالى **ولا تنهرهما** اي لا تزجرهما
عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام
يزجره قال تعالى واما السايل فلا تنهر فان قيل المنع من التافيف
يدل على المنع من الانتهار بالاولى فما فائدة ذكره اجيب بان المراد بالمنع
من التافيف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من منع الانتهار
المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما
الثالث قوله تعالى **وقل لهما قولا كريما** اي حسنا جميلا طيبا كما
يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو
ان يقول يا ابتاه يا اماه وسيل سعيد بن المسيب رضي الله عنه
عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ
وعن عطا انه قال هو ان يتكلم معهما بشرط ان لا يرفع اليهما بصره
ولا يشتد اليهما نظره وذلك ان هذين الفعلين ينافيان القول

بيان بتوحيده ونظمهما
ح
لم يرخص

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)